(٨٠) أبو عمرو بن نُجيد[١]

ذكر الشيخ أبي عمرو بن نُجيد رحمه الله:

كان رحمه الله من أكابر مشايخ وقته، ومن أعاظمِ أهل التصوف، وله في الورع والمعرفة والرياضة والكرامة شأنٌ عظيم.

وكان من نيسابور، إحدى مدنِ خُراسان.

وأدرك الجُنيد رحمه الله، وهو آخرُ من تُوفّي من تلاميذ أبي عثمان رحمه الله.

وكان ذا نظرٍ دقيق، حتى نقل أنّه كان مع الشيخ أبي القاسم النصرآباذي رحمه الله في صُحبةٍ، فاتّفق هناك سماعٌ، فقال ـ أي شيخ أبي عمرو النصرآباذي ـ: لِمَ هذا السماع؟ فقال النصر آباذي: السماعُ خيرٌ من الغيبةِ والاستماع إليها. فقال أبو عمرو: بلِ الغيبةُ خيرٌ من حركةٍ اختيارية في السماع، يقدرُ الشخصُ على آن لا يفعلَها.

أقول: وذلك لأن الحركةَ الاختيارية في السماع هو التواجدُ، والتواجد هو إظهارُ الوجد ولا وجدَ، وهو حرامٌ عند أرباب القلوب؛ بل أشدُّ حُرمةً من الغيبة كما قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله، لأن الغيبةَ وهو أن تذكرَ في غيبةِ الإنسان ما يكرهُهُ خيانةٌ مع ذلك الإنسان، والتواجدُ خيانةٌ مع الحقِّ جلَّ جلاله. فإن قلتَ: أليستْ حقوقُ الله تعالى مبنيّةً على المُساهلة، وعلى هذا فكيف تكون

---

(١) طبقات الصوفية ٤٥٤، الرسالة القشيرية ١١١، الإكمال ١/١٨٨، الأنساب ٧/١١٢، طبقات الشافعية لابن الصلاح ١/٤٣٠، مناقب الأبرار ٨١٢، المنتظم ٧/٨٤، المختار من مناقب الأخيار ١/٤١٠، سير أعلام النبلاء ١٦/١٤٦، العبر ٢/٣٣٦، طبقات السبكي ٣/٢٢٢، الوافي بالوفيات ٩/٢٣١، البداية والنهاية ١١/٢٨٨، طبقات الأولياء ١٠٧، النجوم الزاهرة ٤/١٢٧، نفحات الأنس ٣٣٢، طبقات الشعراني ١/١٢٠، الكواكب الدرية ٢/٥٥، شذرات الذهب ٣/٥٠، الرسالة المستطرفة ٨٧.

الخيانةُ مع الحقِّ أشدَّ من الخيانة مع الخلق؟ قلت: نعم، ولكن كأنَّ المتواجدَ معتقدٌ أنَّ الله تعالى غيرُ مطّلعٍ على ما في ضميره، حيثُ يُظهر الشوقَ للناس، وحسنَ كمال المحبة له، وليس كذلك، ولا خفاءَ في أنَّ نسبةَ الجهل إلى الله تعالى من أعظمِ الذُّنوبِ؛ بل هي توجب الكفرَ بخلاف الغيبةِ مع اعتقادِ الحرمة. [والله أعلم].

نقل أن الشيخ رحمه الله أبا عمرو قد عهدَ مع اللهِ تعالى أن لا يسألَ منه إلاّ رضاه، وكانت له بنتٌ، كانت زوجةَ الشيخ [أبي] عبد الرحمن السُّلمي[1] رحمه الله، وعرضَتْ لها عارضةُ إسهالٍ عجزت الأطباءُ عن معالجتها، فقال الشيخُ عبد الرحمن لامرأته: إن علاج دائك عند أبيك لو أذن. قالت: كيف؟ قال: إنَّ لأبيك عهدًا مذ أربعين سنة أن لا يسألَ اللهَ إلاّ رضاه، فإنّه لو نقضَ العهدَ، وسألَ الله تعالى أن يُعافيك لعافاك. قال: فذهبتْ إليه ليلاً في مَحفّةٍ، فقال لها أبوها متعجِّبًا: يا ابنتي، ما جئتِ إلينا مذ عشرين سنة، فأيُّ شيءٍ جاءَ بك الليلة؟ فأخبرتْ له الحال، وقالت: لي أَبٌ مثلُكَ، وبعلٌ هو إمامٌ في وقته، وإنّي أُحبُّ الحياةَ لأسمعَ منك ومن بعلي أمورًا تنفعني في ديني، وترغّبني في ذكر الله تعالى، فأتيتُكَ لعلَّكَ تسألُ الله تعالى أن يُعافيني ويشفيني. فقال الشيخ أبو عمرو رحمه الله: أمَّا نقضُ العهد فلا يجوز، وأما طلبُك الحياةَ، فإنّك إن لم تموتي اليوم تَموتي بعده البتَّةَ، والموتُ للذي يموت خيرٌ من حياته، واعلمي أيضًا أنّي إن أَنقض العهدَ لأجلك كنتِ أنتِ شرَّ الولد، فلا تُوقعيني في المَعصية، واصطبري، لعلَّ اللهَ يشفيك يا ابنتي، ودعيني فظنّي أنَّ أجلي قريبٌ. وقال: إن قدّر اللهُ تعالى موتَك قبل موتي، فأنا أحضرُ جنازتَكِ، وأُصلّي عليها. فهي ودَّعَتْهُ وخرجتْ إلى بيتِ زوجها، فما وصلتْ إلى البيتِ إلاّ صحيحةً طيِّبةً، وقد زال العارضُ عنها بالكلّية ببركة صدقْ أبيها رحمه الله، حتى عاشت بعد وفاة أبيها أربعين سنة.

---

(١) في طبقات الصوفية ٤٥٤، ومناقب الأبرار ٨١٢ أن أبا عمرو بن نُجيد جدُّ أبي عبد الرحمن السُلمي.

وله كلمات عالية منها أنه قال: لا يصفو أحدٌ في العبودية إلاّ بعد أن يرى جميعَ أفعاله حزنًا له.

وقال: كلُّ حالٍ ليس نتيجةً للعلم ـ وإن كان عظيمًا ـ فضررُهُ أَعظمُ من نفعه.

وقال: من ضيَّعَ فريضةً في وقتها، فقد حرمَ عليه لذّتها.

وقال: آفةُ النفس في رضائها بما هي فيه.

وقال: من يكونُ عزيزًا في نظرِ نفسه، فارتكابُ المعاصي عليه يسير.

وقال: من لم يتهذَّبْ، ولم يتأدَّبْ في نفسه، فلا يهذّبُك لقاؤه ورؤيته، ومن يهذبُك لقاؤه فهو قد تهذَّبَ وتأدَّبَ في نفسه.

وقال: أكثر الدعاوى في الانتهاء أيضًا[1].

وقال: من يكون قادرًا على تركِ الجاه بين الناس، فتركُ الدنيا عليه أَسهلُ، والإعراضُ عن الخلق عليه أَهونُ.

وقال: من يكون مقوّمًا في نفسه، فلا ينسبُهُ أَحدٌ إلى العوج، ومن يكون في نفسِهِ معوجًّا، فلا يقولُ له أحدٌ إنه مقوّمٌ.

وقال: من يكونُ فكرُهُ صوابًا يكونُ نطقُهُ صدقًا، وعملُه بالإخلاص.

وقال: من أراد أن يعرفَ قدرَهُ عند الحقِّ، فلينظر قدرَ الحقِّ عنده وقتَ الخدمةِ له.

وقال: الأنسُ بغير الله وحشةٌ.

وقال: أدنى درجةٍ من درجاتِ التوكُّلِ حسنُ الظنِّ بالله تعالى.

وقال: التصوف هو الصبرُ تحت الأمرِ والنهي.

رحمه الله رحمةً واسعةً، ووفَّقنا ببركته لِمَا يُحبُّ ويرضى في البدوِّ والرُّجعى، وصلّى الله على سيِّدنا محمد وآله أجمعين.

* * *

---

(١) كذا الأصل، وفي مناقب الأبرار ٨١٤: الدعاوى إنّما تتولَّدُ من فساد الابتداء، فمن صحَّتْ بدايتُه صحّت نهايته، ومن فسدت بدايتُهُ فإنه يهلك في أحواله وقتًا ما.